بلاغة الخطاب النفسي قراءة في خطبة السيدة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد

Rhetoric of Psychological Discourse Reading in the sermon of Lady Zainab (peace be upon her) in Yazid›s council

الأستاذ المساعد الدكتور

سهيل محمد حسين جعفر

Professor Dr. Suhail Muhammed Hussain Jaafar

كلية الإمام الكاظم (ع)/ قسم الإعلام

arabic.lecturer1@alkadhum-col.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين، أفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأمَّا بعـــد؛

تهدف الدراسة إلى إعادة قراءة التراث بتقنيات منهجية حديثة من أجل الوقوف على الأسس المعرفية التي بُني عليها السلف بغية تفعيل التراث في الدراسات اللغوية الحديثة. وسنسلط الضوء على بلاغة الخطاب النفسي قراءة في خطبة السيدة زينب (عليها السلام) بمجلس يزيد أنموذجًا بأن يكون البحث في ستة محاور:

أولها: قوة التأثير في العبارة: ترتبط قوة تأثير النص بعمق التأثر والإنفعال في نفس المتلقي، واستجابته لمؤثرات عنيفة تهز مشاعره، وتحرك كوامن مشاعره فتنطلق الألفاظ بحيوية مؤثرة متجانسة مع عنف التأثر، وشدته ويحدد السياق العاطفي أيضاً درجة الإنفعال قوةً وضعفاً، إذ تُنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال،لذا كانت الجمل المعبّرة عن غضب السيدة زينب أو حزنها أو تقريعها أوتوبيخها، أو حبها لله ورسوله والمتقين والمؤمنين، أو كرهها للباطل والإنحراف عن الإسلام، حافلة بالألفاظ المشحونة بالعاطفة، فلقد وردت جمل مؤثرة تنم على عمق الشعور بالحزن والألم.

وثانيها الإختزال في الألفاظ والإتساع في المعنى: اختزال الألفاظ، وقدرتها على إيصال أكبر قدر من المعنى بتحميله إيحاءات تجعل المخاطب يذهب في تفسيرها مذاهب كثيرة.

وثالثها: الاتساق والانسجام: وتمتاز نصوص خطبة السيدة زينب (عليها السلام)بانسجام الألفاظ في الجملة، وفي المقطع، فلا تجد تنافراً بين تلك المكونات، ولا تباعداً في المعاني.

ورابعها التكرار: لم يكن استعمال التكرار في خطبتها إلاّ لتوكيد المعنى وانفتاح الصورة على آفاق دلالية واسعة، وفي توليد علائق نصية ودلالية عن طريق الأثر المحفز الذي يكون مصدرا للإثارة والجذب وهي تكرر تارةً صفات تدل على الردع والزجر الذي بينهما السياق النصيّ .

وخامسها: التطابق والتقابل في أبنية النصوص النفسيّة: امتازت نصوص خطبة السيدة زينب

عموماً وعباراتها النفسيّة خصوصاً بكثرة المقابلات الدلالية اللافتة للإنتباه، ففي كل فقرة هناك وجوه تقابلية معبّرة عن المعاني المتناظرة أو المتباينة.

وسادسها: بلاغة الصورة النفسية (التشبيه والاستعارة(: هذا التمثيل ينقل معاني اللغة من دائرته الضيقة إلى عالم أرحب تتدفق من خلاله الإحساسات المتوافرة في ذهن الشاعر أو الكاتب لتشكيل ما ينسجم مع حركته النفسية والانفعالية.

وخُتمَ البحث بجملة نتائج.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، النفسي، الخطاب.

و أسأل الله أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وأن يتقبله مني، وأن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، النفسي، الخطاب.

Abstract

Rhetoric of Psychological Discourse A reading in Yazid's assembly in the sermon of Lady Zaynab (peace be upon her) as a model

Researcher: a. M . Dr. Suhail Muhammad Hussein Jaafar Al-Arnaouti

Imam Al-Kadhim College (peace be upon him) / Mass Communication Department

In the name of of Allah the Merciful

Praise be to God, Lord of the worlds, much good and blessed praise, and prayers and peace be upon the most honorable of the Messengers and the imam of the pious.

The study aims to re-read the heritage using modern methodological techniques in order to stand on the cognitive foundations on which the predecessors were built in order to activate the heritage in

modern linguistic studies. We will shed light on the eloquence of the psychological discourse, reading the sermon of Sayyida Zainab (peace be upon her) in the council of Yazid as a model, so that the research is in six axes:

The first: the power of influence in the phrase: the power of the influence of the text is related to the depth of affect and emotion in the recipient's soul, and his response to violent stimuli that shakes his feelings, and stirs his latent feelings, so the words are released with an impressive vitality that is consistent with the violence of the impact, and its intensity. The emotional context also determines the degree of emotion, strength and weakness, as words with strong The strong expressive charge when talking about something that contains anger and intensity of emotion, so the sentences expressing Sayyida Zainab's anger, sadness, rebuke or rebuke, or her love for God and His Messenger and the righteous and the believers, or her hatred of falsehood and deviation from Islam, were full of words charged with emotion, as there were impressive sentences that reflect Deep in the feeling of sadness and pain.

The second is the abbreviation of words and the breadth of meaning: the reduction of words, and their ability to communicate the greatest amount of meaning by downloading suggestions that make the addressee go in their interpretation of many doctrines.

And the third: Consistency and harmony: The texts of the sermon of Sayyida Zainab (peace be upon her) are distinguished by the harmony of the words in the sentence and in the syllable, so you do not find dissonance between these components, nor divergence in

the meanings.

The fourth is repetition: the use of repetition in her sermon was only to emphasize the meaning and open the image to broad semantic horizons, and to generate textual and semantic relationships through the motivating effect that is a source of excitement and attraction.

Fifth: congruence and opposition in the structures of psychological texts: The texts of Sayyida Zainab's sermon in general and her psychological expressions in particular were distinguished by the abundance of semantic interviews that draw attention. In each paragraph there are contrasting faces expressing corresponding or divergent meanings.

Sixth: Rhetoric of the psychological image (simulation and metaphor): This representation conveys the meanings of the language from its narrow circle to a broader world through which the sensations available in the mind of the poet or writer flow to form what is consistent with his psychological and emotional movement.

The research concluded with a set of results.

Keywords: rhetoric, psychological, discourse.

And I ask God that I have succeeded in this work of mine, and that He accept it from me, and that He benefit from it, and that He make it pure for His honorable face, for He is the best of the Lord and the best of the Helper.

More about this source textSource text required for additional translation information Send feedback Side panels

المقدمة

أن الله تبارك وتعالى نوّه بتعليم البيان بعد خلق الإنسان، وأن نبي الاكرم ﷺ أشار إلى سحر البيان في مأثوره:(ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة)، نرى تأثير الكلام ودوره في العالم خاصة إذا امتزج بالفصاحة والبلاغة. ومن أروع الكلام الذي تجلّت آثاره في الناس وسبب تغييرا أساسيا في المجتمع وغير الآراء حيال موضوع ذي أهمية في ذاك الأوان، هو كلام سيّدة بلغية من بيت النبوة تبلورت في كلامها رسالة جدها وبلاغة أبيها وفعلت بالطغاة مافعلت وجعلتهم عبرة لمن اعتبر إلى يوم الدين. لذا جاءت نصوص خطبة السيدة زينب (عليها السلام)المعبّرة عن الحالات النفسية تزخر بخصائص تتماثل وخصائص أسلوب الإمام علي (عليه السلام) في سائر نصوصه الأخرى وهو الذي اشتهر بفصاحته، وبلاغته، وقدرته على تأليف الكلام بصورمؤتلفة ، ومتنوعة ومتناسقة. وقُسم البحث على خمسة محاور: المحور الأول: قوة التأثير في المخاطب، والمحور الثاني: الإختزال في الألفاظ والإتساع في المعنى،و المحور الثالث: الإتساق والإنسجام، و المحور الرابع: التكرار، و المحور الخامس: التطابق والتقابل في أبنية النصوص النفسيّة، والمحور السادس: بلاغة الصورة النفسية البيانية بـ(التشبيه والاستعارة) وخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومن ثم قائمة بأهم مصادر البحث ومراجعه.

المحور الأول: قوة التأثير في المخاطب:

ترتبط قوة تأثير النص بعمق التأثر والإنفعال في نفس المتلقي، واستجابته لمؤثرات عنيفة تهز مشاعره، وتحرك كوامن مشاعره فتنطلق الألفاظ بحيوية مؤثرة متجانسة مع عنف التأثر، وشدته ويحدد السياق العاطفي أيضاً درجة الإنفعال قوةً وضعفاً، إذ

تُنتقى الكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية حين الحديث عن أمر فيه غضب وشدة انفعال.[1] لذا كانت الجمل المعبّرة عن غضب السيدة زينب أو حزنها أو تقريعها أوتوبيخها، أو حبها لله ورسوله والمتقين والمؤمنين، أو كرهها للباطل والإنحراف عن الإسلام، حافلة بالألفاظ المشحونة بالعاطفة، فلقد وردت جمل مؤثرة تنم على عمق الشعور بالحزن والألم كقولها (عليها السلام):)) قرأت السيدة هذه الآية : صدق الله سبحانه، كذلك يقول: ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوئى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون))[2].

وما أروع الإستشهاد بها، وخاصةً في مقدمة خطبتها!! وعاقبة كل شيء: آخره، أي: ثم كان آخر أمر الذين أساؤا إلى نفوسهم ـ بالكفر بالله وتكذيب رسله، وارتكاب معاصيه ـ السوئي، أي: الصفة التي تسوء صاحبها إذا أدركته، وهي عذاب النار.

أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون أي: بسبب تراكم الذنوب والمعاصي في ملف أعمالهم حصل منهم التكذيب بآيات الله والحقائق الثابتة، وظهر منهم الإستهزاء بها وبالمقدسات الدينية.

وهي (عليها السلام) تشير بكلامها ـ هذا ـ إلى تلك الأبيات التي قالها يزيد :

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

ومعنى هذا البيت من الشهر: أن بني هاشم ـ والمقصود من بني هاشم: هو رسول الله ـ لعب بالملك بإسم النبوة والرسالة، والحال أنه لم ينزل عليه وحي من السماء، ولا جاؤه خبر من عند الله تعالى.

(١) ينظر: مباديء اللسانيات ٣٥٧.

(٢) الروم: ١٠.

فتراه ينكر النبوة والقرآن والوحي!!

وهل الكفر والزندقة إلا هذا؟!

ثم إن بعض الناس ـ بسبب أفكارهم المحدودة ـ يتصورون ـ خطأ ـ أن الإنتصار في الحرب يعتبر دليلاً على أنهم على حق، وعلى قربهم من عند الله تعالى، فتستولي عليهم نشوة الإنتصار والظفر، ويشملهم الكبرياء والتجبر بسبب التغلب على خصومهم؛ ولكن السيدة زينب الكبرى (عليها السلام) فندت هذه الفكرة الزائفة، وخاطبت الطاغية يزيد باسمه الصريح، ولم تخاطبه بكلمة: أيها الخليفة أو يا أمير المؤمنين وأمثالها من كلمات الإحترام.

نعم، خاطبته باسمه، وكأنها تصرح بعدم إعترافها بخلافة ذلك الرجس، فقالت: ((أظننت ـ يا يزيد ـ حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقت علينا آفاق السماء، فاصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أن بنا من الله هوانا، وعليك منه كرامة وامتنانا))[1] ؟أي: أظننت ـ لما رأيتنا مغلوبين، ووجدت الغلبة والظفر لنفسك ـ أن ليس لنا جاه ومنزلة عند الله، لأننا مغلوبون؟!! وظننت أن لك عند الله جاهاً وكرامة لأنك غلبتنا وظفرت بنا، وقتلت رجالنا، وسبيت نساءنا؟!!

وظننت: ((أن ذلك لعظم خطرك))[2] أي: لعلو منزلتك.

وجلالة قدرك عند الله تعالى؟! وعلى أساس هذا الظن الخاطئ الذي لا يغني من الحق شيئاً و إن بعض الظن إثم، إستولت عليك نشوةً الإنتصار!

وتظهر حدة التهديد وأثره في نفس المخاطب من ألفاظ الحال في قولها: (مهلًا، جهلًا)[3]، لتصف ما ستؤل عليه حاله فتيثير الرعب في نفس المخاطب، فتقول:

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

(٢) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

(٣) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

))فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً طاش((، أي: يا يزيد! لا تطش .. بسبب جهلك بالحقائق، وخلطك بين المفاهيم والقيم، والإغترار بالظواهر. أنسيت قول الله (عزوجل): {وَلِا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [آل عمران: ١٧٨] ؟».

وترى قوة التأثير في استثارة عواطف المخاطب والعودة إلى طبيعة النفس البشرية في قولها (عليها السلام) عندما خاطبته وذكرته بأصله السافل، ونسبه المخزي، فقالت: ((أمن العدل يا بن الطلقاء((... [1].

وهذه الكلمة إشارة إلى ما حدث يوم فتح مكة، فإن رسول الله (صلى الله عليه واله) لما فتح مكة ـ وصارت تحت سلطته ـ كان بإمكانه أن يقتلهم لما صدرت منهم من مواقف عدائية وحروب طاحنة ومتتالية ضد النبي الكريم ـ بالذات ـ وضد المسلمين بصورة عامة، لكنه رغم كل ذلك .. إلتفت إليهم وقال لهم :

يا معاشر قريش! ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم فقال لهم: إذهبوا فأنتم الطلقاء وكان فيهم: معاوية وأبو سفيان. ويزيد هو ابن معاوية، وحفيد أبي سفيان، ويطلق عليه (ابن الطلقاء) إذ قد يستعمل ضمير الجمع في مورد التثنية.

أما معنى كلمة يابن الطلقاء فالطلقاء ـ جمع طليق ـ: وهو الأسير الذي أطلق عنه إساره، وخلي سبيله معنيين :

المعنى الأول: أن تذكر يزيد بأنه ابن الطليقين الذين أطلقهما رسول الله (صلى الله عليه واله) مع أهل مكة، وكأنهم عبيد، فتكون الجملة تذكيراً له بسوء سوابقه المخزية

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

وملف والده وجده!

والمعنى الثاني: أن تذكر يزيد بالإحسان الذي بذله رسول الله لأسلاف يزيد حيث أطلقهم، فقالت: أمن العدل أي: هل هذا جزاء إحسان رسول الله (صلى الله عليه واله) مع أسلافك .. أن تتعامل مع حفيدات الرسول هذا التعامل السيئ؟! ولعل السيدة زينب قصدت المعنيين معاً.

ومن الواضح أنها لا تقصد ـ من كلامها هذا ـ السؤال والإستفهام، بل تقصد توبيخ يزيد على سلوكه القبيح، ونفسيته المنحطة، وتنكر عليه تعامله السيئ، وتعلن له أنه بعيد ـ كل البعد ـ عن أوليات الفطرة البشرية، وهي جزاء الإحسان بالإحسان!!

فانظر إلى قوة التاثير التي تزخر بها عبارات السيدة زينب (عليها السلام) في قولها: ((ولا غرو منك، ولا عجب من فعلك)):[1] لا غرو: لا عجب.

إن السيدة زينب (عليها السلام) تعتبر تلك الجرائم ـ التي صدرت من يزيد ـ أموراً طبيعية وظواهر غير عجيبة، فـ كل إناء بالذي فيه ينضح . وإن الآثار السلبية لعامل ـ بل عوامل ـ الوراثة، والإستمرار على شرب الخمر والفحشاء والفجور والعيش في أحضان العاهرات، كلها أسباب كان لها دورها في إيجاد هذه النتائج والعواقب السيئة للطاغية يزيد.

وأنى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء؟ أي: كيف ومتى يتوقع الخوف من الله تعالى .. من ابن من رمت من فمها أكباد الشهداء الأبرياء؟ هذه الكلمة إشارة إلى ما حدث في واقعة أحد، وإلى مقتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله (صلى الله عليه واله) حينما جاءت

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

هند ـ أم معاوية ـ وجدة يزيد ـ وشقت بطن سيدنا حمزة، واخرجت كبده واخذت قطعة من كبده، ووضعتها في فمها وعضتها بأسنانها وحاولت أن تأكلها، بسبب الحقد المتأجج في صدرها، ولكن الله تعالى أبى أن تدخل قطعة من كبد سيدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة، فانقلبت تلك القطعة صلبةً كالحجر، فلم تؤثر أسنانها في الكبد، فلفظتها، ورمتها من فمها، فاكتسبت بذلك لقب (آكلة الأكباد)!! ويزيد: هو حفيد هكذا امرأة حقودة. وحقده على الدين وارتكابه للجرائم الكبيرة ليس بشيء جديد،، [1].

وأنى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء؟ أي: كيف ومتى يتوقع الخوف من الله تعالى .. من ابن من رمت من فمها أكباد الشهداء الأبرياء؟ هذه الكلمة إشارة إلى ما حدث في واقعة أحد، وإلى مقتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله (صلى الله عليه واله) حينما جاءت هند ـ أم معاوية ـ وجدة يزيد ـ وشقت بطن سيدنا حمزة، واخرجت كبده واخذت قطعة من كبده، ووضعتها في فمها وعضتها بأسنانها وحاولت أن تأكلها، بسبب الحقد المتأجج في صدرها، ولكن الله تعالى أبى أن تدخل قطعة من كبد سيدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة، فانقلبت تلك القطعة صلبةً كالحجر، فلم تؤثر أسنانها في الكبد، فلفظتها، ورمتها من فمها، فاكتسبت بذلك لقب (آكلة الأكباد)!! ويزيد: هو حفيد هكذا امرأة حقودة. وحقده على الدين وارتكابه للجرائم الكبيرة ليس بشيء جديد. إذاً نشاهد من قولها(عليها السلام) قوة التأثير، وتغلغل المعاني، وحجم وقعها المدويّ في نفوس المتلقين.

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ ٣٨.

المحور الثاني: الإختزال في الألفاظ والإتساع في المعنى

لعل من أبرز خصائص كلام السيدة زينب ـ (عليها السلام) هو اختزال الألفاظ، وقدرتها على إيصال أكبر قدر من المعنى بتحميله إيحاءات تجعل المخاطب يذهب في تفسيرها مذاهب كثيرة، لاحتمال تعدد المعاني في البناء الجملي وهي في ذلك تسلك مسلك القرآن الكريم مع فارق المنشئ الذي يتفرد في القرآن عن سواه من البشر، لكن السيدة زينب ـ (عليها السلام) التي تحمل القرآن في طيات ذاكرتها تتأثر كثيراً بصياغات القرآن الكريم فهي تكثر من استعمال المصادر التي تحتمل أكثر من وجه بحسب ما يقدّر المخاطب كقولها (عليها السلام): ((فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشّش فيها الشيطان وفَرّخ))[1] مَحشوّة: أي: مملوءة. إنّ القلب إذا صار قاسياً، والنفس إذا أخذها الطغيان، فسوف لا تكون الأرضيّة مساعدة فيهما لتقبّل المواعظ والنصائح.

يُضاف إلى ذلك .. أنّ الشيطان الرجيم إذا وجد التفاعل والتجاوب من شخص، فسوف يتربّع في فكره وذهنه، ويتّخذه لنفسه عشاً ووكراً، ومسكناً ومحلاً للإقامة فيه، ويكون بمنزلة جهاز التحكّم في الأشياء، يتحكّم في ميوله واتّجاهاته، فيوجّه الشخص حيثما يريد، ويأمره بأنواع الإنحراف والإنسلاخ عن الفطرة الإنسانية والعاطفة وجميع الصفات الحميدة، ويعطيه الجُرأة على اقتاحم المخاطر الدينية، فإذا أراد الشيطان مغادرة فكر هذا المنحرف فإنّ هناك فراخه، أي: جنوده، الذين يقومون مقامه ويؤدّون دوره في مهمّة الإغراء والتشجيع على الجريمة من دون التفكير في مضاعفاتها السلبيّة.

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

ونظير ذلك قولها: ((ثمّ كِد كيدك، واجهد جهدك))[1]

الكيد: إرادة مَضَرّة الغير خُفية، والحيلة السيّئة، والخُدعة، والمكر.

جَهَد جهداً: جدّ، يُقال: طلب حتى وصل إلى الغاية، والجهد، الوُسع والطاقة.

هذا كلام يَطغى عليه طابع التهديد الشديد، مِن سيّدة أسيرة، ولكنّها واثقة من نفسها ـ أعلى درجات الثقة ـ أنّ جميع نشاطات يزيد ـ والفصول اللاحقة من مخطّطاته ـ سوف تفشل، وسوف لا يتوصّل إلى أيّ واحد من أهدافه!! بل ترجع عليه بشكل مُعاكس، فكُرسيّه يتزعزع، وسلطته تضعُف، وقدرته تذهب! فالسيدة زينب (عليها السلام) تريد أن تقول ليزيد: إصنع ما بدا لك، من تخطيط وتفكير، وقَتل وإبادة، وسَبي وأسر، وابذل ما في وسعك من جهود، فسوف لا تصل إلى الهدف الذي حَلِمتَ به، وهو إستئصال شجرة النبوة من جذورها .. بكافّة أغصانها وفروعها وأوراقها، وعدم إبقاء صغير أو كبير من آل رسول الله .. رجلاً كان أو إمرأة.

وقولها أيضاً: ((فقالت: والحمد لله الذي حَكَم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة))[2]

حَكَم لأوليائه: قضى لهم، وقدّر لهم ذلك.

أصفيائه: الصفيّ مِن كلّ شيء صَفوُهُ، وجمعُه: أصفياء.

بقلب مفعم بالإيمان بالله تعالى، والرضا بما يختاره الله لعباده، بدأت السيدة زينب (عليها السلام) تختم خطبتها بحمد الله سبحانه الذي قضى لأوليائه بالسعادة، وتقصد من الأولياء ـ هنا ـ: الإمام الحسين (عليه السلام) ـ الذي هو سيد أولياء الله تعالى ـ وأصحابه الذي قُتلوا معه يوم عاشوراء، ونالوا ـ بذلك ـ شرف الشهادة.

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

(٢) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

إنّ الإنسان الذي يلتزم بالدين، ويصنع من نفسه وليّاً لله ـ وذلك بأدائه لِلَوازم العبودية لله سبحانه ـ سوف يحظى بنتائج إلهيّة فريدة، وهي عبارة عن المِنَح المميزة، والألطاف الخاصّة التي يُفيضها الله عليه، والتي لا تشمل غيره من الناس، ومن أبرز تلك الألطاف الخاصة: السعادة الأبدية، ولعلّ إلى هذا المعنى الرفيع أشار الله تعالى بقوله: والله يختصّ برحمته من يشاء. إنّ أولياء الله تعالى كانوا يفكّرون ـ باستمرار ـ في جَلب رضى الله سبحانه.

أجَل .. كان هذا هو الهدف الذي يُشغلون به بالهم، ويتحرّكون في هذا المدار ويدورون حول هذا المحور.

ومن الطبيعي أنّهم كانوا ـ ولا زالوا ـ على درجات، فهناك مَن يكون وليّاً لله تعالى منذ السنوات الأولى من حياته، وهناك من يصير ولياً لله تعالى في مرحلة متقدّمة من العمر. وعلى هذا الأساس يقضي الله (عز وجل) لهم بالفوز والتفوّق والسعادة الأبديّة، بجميع ما لهذه الكلمة من معنى.

وأحياناً يُقدّر الله تعالى لهم بعض المكاره والصعوبات، وذلك لأسرار وحِكَم يعلمها الله سبحانه، فترى الأولياء يُظهرون من أنفسهم كلّ إستعداد وتحمّل وتقبّل لتلك المكاره ويستقبلونها بصدر واسع وصبر جميل. وختم الله تعالى لأصفيائه بالشهادة، فقد كانت حياتهم كلها خير وبركة منذ البداية إلى النهاية، فمِن المؤسف ـ حقّاً أن يموت الوليّ ميتةً طبيعية على الفراش، بل المتوقّع له أن يوفّقه الله تعالى للشهادة والقتل في سبيله، لكي تكون لموته أصداءٌ تعود للدين بالفائدة، كما كانت حياته كذلك. فقتلهم يوقظ الغافلين غير المُلتزمين بالدين، ويجعلهم يُفكّرون ويتساءلون عن سبب قتله رغم كونه إنساناً طيباً، ويبحثون عن هويّة القاتل، وهدفه من قتل هذا الرجل!

فتكون هذا الأصداء سبباً لعودة الكثيرين إلى الإلتزام الشديد بالدين ومبادئه. أليس كذلك؟! ولعلّ أولئك الأولياء هم الذين أرادوا أن يكون ختام حياتهم بالشهادة، وسألوا من الله (عزّ وجل) ذلك، فاستجاب الله ـ سبحانه ـ لهم دعاءهم، وقدّر لهم الشهادة في سبيل الله تعالى، ولعلّ هذا هو معنى كلام السيدة زينب (عليها السلام): بِبلوغ الإرادة . نقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة . المعنى: نَقَلهم إلى عالم يُرَفرف على رؤوسهم رحمة الله الواسعة المخصّصة للشهداء في سبيل الله تعالى، والرأفة: أي: العاطفة المزيجة باللطف والحنان، التي لا تَشمَل غير الشهداء الذين باعوا أعزّ شيء لديهم ـ وهي حياتهم ـ للدين، وفي سبيل المحافظة على روح الدين الذي كان يتجسّد في الإمام الحسين (عليه السلام)، وعدم الرُضوخ لبيعة يزيد الكافر. والرضوان والمغفرة إنّ القرآن الكريم يُصرّح بأن أعلى وأغلى وألذّ نعمة يتنعّم بها بعض أهل الجنّة ـ وفي طليعتهم شهداء فاجعة كربلاء ـ هو شعورهم وإحساسهم بأنّ الله تعالى راض عنهم، قال تعالى: وَعَدَ الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن، ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم . هذا سوى ما يُعيّن لهم من أنواع النِعَم والكرامة والإحترام اللائق .. الذي لا مَثيل له في عالم الدنيا!

يُضاف إلى ذلك: أنّ الرجل الذي يُقتَل في سبيل الله بنيّة خالصة سوف يمرّ نسيم العفو والمغفرة على ما صدر منه من مخالفات، فيصير ملفّه أبيض لا سواد فيه. إنّنا نقرأ في دعاء صلاة يوم عيد الفطر والأضحى: ... اللهم وأهل العفو والرحمة وأهل التقوى والمغفرة، وهذا لجميع المؤمنين التائبين، ولكنّ الشهيد يمتاز بمزايا وتسهيلات خاصّة قرّرها الله تعالى للشهداء فقط.

هذا إذا كان الشهيد إنساناً عادياً غير معصوم من الذنوب، أمّا إذا كان معصوماً

فلا توجد في صحيفة أعماله ذنوب أو معاصي، فيكون معنى المغفرة بالنسبة إليه علوّ درجته في الجنّة، واختصاصه بمنح فريدة كالشفاعة للآخرين، وغير ذلك من المميّزات. نلاحظ في الأمثلة أعلاه اختزالاً بالألفاظ ووفرة بالدلالات.

المحور الثالث: الإتساق والإنسجام

أولى النقاد العرب الإتساق والإنسجام جلّ عنايتهم وعدوه من معايير الجودة في النظم، ويتم بوضع بعض الفصول والمعاني من بعض بشكل أفضل بالنظر إلى أول الكلام ومنعطفه وخاتمته [١]

كما أولى الباحثون في نحو النص اهتماماً كبيراً باتساق النص وانسجام مكوناته، قال محمد خطابي يحتل اتساق النص وانسجامه موقعاً مركزياً في البحوث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب/ النص، ونحو النص، وعلم النص حتى إنّنا لا نكاد نجد مؤلفاً ينتمي إلى هذه المجالات خالياً من هذين المفهومين أو من أحدهما أو من المفاهيم المرتبطة بهما كالترابط والتعالق وماشاكلهما.[٢] وتمتاز نصوص خطبة السيدة زينب (عليها السلام) بانسجام الألفاظ في الجملة، وفي المقطع، فلا تجد تنافراً بين تلك المكونات، ولا تباعداً في المعاني، ولو تأملنا مليّاً في وصف السيدة زينب ـ (عليها السلام) ـ المخيف لمصير الإنسان(يزيد لعنه الله)، ومآله بعد عيش رغيد لوجدنا الجمل تتناسق مكوناتها وتتآلف بعضها مع البعض الآخر .

انظر إلى قولها (عليها السلام): (اللهم! خُذ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، واحلُل غضبك على من سفك دماءنا، ونقضَ ذمارنا، وقَتلَ حُماتنا، وهتك عنّا سدولنا ، وما فرَيت إلا جلدك، وما جَزَرت إلا لحمك،: **ولبئس جرّت علي الدواهي مخاطبتك،**

(١) ينظر: منهاج البلغاء ٢٠٠.

(٢) ينظر: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب ٥.

إني لأستصغر قدرك، وأستعظِم تقريعك، فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، فالعجب كلّ العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء ،وسليل الأوصياء))[1]

فلو وازنت بين كل جملتين من الجمل المتسقة لوجدت أنّ السيدة زينب (عليها السلام) تجانس بين اللفظة وما يقابلها (بحقّنا) و(ظالمنا) فهما متناظرتان ومتضادتان في المعنى وبعد كل فعل حرف الجر المتعلق به (على).

وانظر إلى كلّ من اللفظتين و (ذمارنا)، و(حُماتنا) و (سدولنا) على وزن فعال صيغة مبالغة للدلالة على العظم المصيبة، وكما تجد المعنى في الجملتين مترابطاً ومتصلاً بعضه ببعض. ثمّ انظر إلى الجملتين الأخريين تجد التجانس بين الألفاظ (جلدك)، و(لحمك) مستثنى بـ إلاَّ، والالفاظ (مخاطبتك،قدرك، تقريعك) على وزن مفاعلة للدلالة على المشاركة في الحوار، وكذلك: (قاسية، وطاغية)، و(اتقياء، وأوصياء، وأنبياء) على وزن أفعلاء

وأرى أنّ هذه الهندسة في نظم الكلام والقدرة الفائقة على مواءمة الألفاظ ونسق الجمل في مجاميع متناسقة متآلفة تمنح النص حيوية ونضارة وجمالاً تجعل المخاطب مشدوداً إلى سحر هذا البيان، يستقبله بتأثر وانفعال وتعاطف مع المنشئ فيما يذهب إليه .

وقالت السيدة زينب (عليها السلام) أيضاً في مقاطع من خطبتها: ((لا تُدرِك أمَدَنا، ولا تَبلُغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا،، وهل رأيُك إلا فَنَد، وأيّامك إلا عدد، وجمعك إلا بدَد ، وما فرَيت إلا جلدك، وما جَزَرت إلا لحمك،،، إنّي لأستصغر قدرك، وأستعظِم تقريعك، تَنطِف أكُفّهم من دمائنا ، وتتحلّب أفواههم من لحومنا، صفى لك ملكنا،

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ ٣٨.

وخلص لك سلطاننا ، هتكت ستور هنّ وأبديت وجوههن ، يُجمع به شملهم، ويُلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم،، ثتابها العواسل ، وتُعفّرها أمّهات الفراعل)).

ومن يتتبع مكونات الجمل يجد التجانس بين مكونات الجمل واضحاً بين الأفعال وفاعليها ومتعلقاتها وبين الموصوفات وصفاتها والأحوال وأصحابها فلا تنبو لفظة عن اختها ولا تتنافر واحدة مع الأخرى.

وهذا التجانس بين مكونات النص يشدّ أواصر تلك المكونات ويزيد من تلاحمها وتماسكها حتى يبدو النص وحدة متكاملة.

المحور الرابع: التكرار

التكـــرار:

سنة فنية عرفها العرب، وبلغ من اهتمامهم به الحد الذي يقول معه أحد نقادهم ((من سنن العرب التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[١]، وقد استخدمت السيدة زينب التكرار في خطبتها لإضفاء قيمة موسيقية عذبة، فضلاً عن تقوية النغم ومساعدته في جذب انتباه المتلقي بما يخلفه من تشكيل موسيقي، لأن ((تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره أو نثره))[٢].

وتُكرر السيدة زينب (عليها السلام) الألفاظ والعبارات والجمل لتأكيد ما تدعو إليه، وتُنفذ ما في نفسها إلى نفوس المخاطبين بقوة وحماس، وقد تكررالسيدة زينب (عليها السلام) للتحذير سواء بذكر لفظ التحذير أو

(١) الصاحبي في فقه اللغة: ٣٤١.

(٢) جرس الألفاظ: ٢٣٩.

بذكر المحذّر منه نحو قوله: ((فمهلاً مهلاً لاتطش جهلاً))[1].أي: لا تطش جهلاً طاش فلان: أخذه الغرور وفقد إتزانه، فصار غير ناضج في تصرفاته.

أي: يا يزيد! لا تطش .. بسبب جهلك بالحقائق، وخلطك بين المفاهيم والقيم، والإغترار، بالظواهر. أنسيت قول الله (عزوجل): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ؟

وقد لا يكون التكرار عند السيدة زينب (عليها السلام) لغرض التوكيد بل لتشقيق المعاني وتوليدها فيولد من آخر الجملة جملة أخري وفي ذلك تبرز براعة السيدة (عليها السلام) في بناء نصوصه فبعد ما تُفرغ ما في نفسها من ألم إتجاه ما فعله يزيد (عليه لعنة الله) بذرية رسوله الكريم.كقولها:

((فاصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار)). وقولها أيضاً: ((وفعلت فِعلتك التي فعلت، وما فرَيت إلا جلدك، وما جَزَرت إلا لحمك)) [2]. فجملة (وما جَزَرت إلا لحمك) هي توليد لجملة (وما فرَيت إلا جلدك)، أي: سترِد على رسول الله (صلى الله عليه واله) ـ بعد موتكَ ـ وأنت تحمل على ظهرك من الجرائم ما لا تحملها الجبال الرواسي، فيُخاصمك على كل واحدة واحدة منها .. أشدّ أنواع الخصومة، من دون أن يخفى عليه شيء! حيثُ يُجمع به شملهم، ويُلمّ به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم .

والشعث: ما تَفرّقَ من الأمور أو الأفراد، يُقال ـ في الدعاء ـ: لَمّ الله شعَثه .

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

(٢) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

أي: سوف يجمع الله تعالى آل رسول الله عند النبي الكريم في جبهة واحدة ـ وذلك في يوم القيامة ـ فيَشكو كلّ واحد من آل الرسول إلى النبي الكريم كلّ ما لقيَ من الناس مِن عداءٍ وظلم، فينتقم الله من أعدائهم أشدّ الإنتقام.

وترد التكرار هنا بفن قولي يراد به الإغراء والحث على ما يغرى به يعتمد تأكيد اللفظ بتكراره، كقولها: ((ثمّ كِد كيدك، واجهد جهدك))[1]. أي: إصنع ما بدا لك، من تخطيط وتفكير، وقَتل وإبادة، وسَبي وأسر، وابذل ما في وسعك من جهود، فسوف لا تصل إلى الهدف الذي حَلِمتَ به، وهو إستئصال شجرة النبوة من جذورها .. بكافّة أغصانها وفروعها وأوراقها، وعدم إبقاء صغير أو كبير من آل رسول الله .. رجلاً كان أو إمرأة.

وتوظِّف السيدة (عليها السلام) الاسم المكرر للبدء بأفكار يربطها بأفكار سابقة فبعد أن تقدّم لها كما في قولها: ((فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء)). أي: حقّاً إنّه عجيب، بل هو من أعجب الأعاجيب أن يُقتل أشرف وأطيب خلق الله تعالى على أيدي ذريّة العاهرين والعاهرات!!

ولكن.. هذه هي طبيعة الحياة الدنيا، أنّها تكون قاعة امتحان للأخيار والأشرار، وللذين يضربون أرقاماً قياسيّة في الطيب أو الخبث. ومن هنا .. بقيت فاجعة كربلاء خالدة إلى يوم القيامة، عند كلّ مجتمع يمتاز بالوعي والإدراك، وفهم المفاهيم والقيم الإنسانية، وكلّما إزداد البشر نُضجاً وفَهماً أقبل على دراسة وتحليل هذه الفاجعة بصورة أوسع، والتفكير حولها بشكل أشمل، والكتابة عنها بتفصيل أكثر. نرى أن السيدة زينب(عليها السلام) استخدمت التكرار في خطبتها

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

لإضفاء قيمة نفسية موسيقية عذبة، فضلاً عن تقوية النغم ومساعدته في جذب انتباه المتلقي وإلقاء ظلال معانيها فيه.

٥ ـ المحور الخامس: التطابق والتقابل في أبنية النصوص النفسيّة:

المقابلة: ((ان يجمع بين شيئين مترافقين أو أكثر وبين ضديهما))[١]، وقيمتها أنها: ((تضم عناصر دلالية وصوتية ويقوم التناظر فيهما على الموافقة والمخالفة))[٢] والنسيج اللغويّ في الخطاب النفسيّ ينتقي الأبنية المؤثرة في نفوس المخاطبين، ويجانس بين مكوناته، ويقابل بينها مشابهة ومغايرة، ويقارب بين الألفاظ لتكون أكثر تأثيراً، وأقرب إلى مشاعر المخاطب، ولقد امتازت نصوص خطبة السيدة زينب عموماً وعباراتها النفسيّة خصوصاً بكثرة المقابلات الدلالية اللافتة للإنتباه، ففي كل فقرة هناك وجوه تقابلية معبّرة عن المعاني المتناظرة أو المتباينة.

ولإيضاح الوجوه التقابلية سأبدأ بذكر بعض الجمل، والفقرات من خطبة السيدة زينب (عليها السلام):

((أظننت ـ يا يزيد ـ حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقت علينا آفاق السماء، فاصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أن بنا من الله هوانا، وعليك منه كرامة وامتنانا ؟))[٣] أنّ العجيب في هذا المقطع كثرة التقابل بالمغايرة بصنعة مثيرة للعجب فكل لفظة اقترنت بما يقابلها في الضد أو المخالفة، أو المشابهة ولو استعرضنا تلك الألفاظ لوجدنا أنها تستغرق المقطع كلّه، وهذا جدول بتلك الألفاظ والعلاقات التي تربط الواحدة بالأخرى:

---

(١) مفتاح العلوم: ٢٠٠ .

(٢) الموازنات الصوتية: ١٢ .

(٣) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

أقطار الأرض ـ آفاق السماء ـ (علاقة الضد)

فاصبحنا لك في أسار ـ وأنت علينا ذو اقتدار ـ (علاقة الضد)

أن بنا من الله هوانا – وعليك منه كرامة وامتنانا – (علاقة الضد)

تصف السيدة زينب حالها، وأحوال من معها من العائلة المكرمة، أنهم كانوا في أشد الضيق، كالإنسان الذي أخذوا عليه، أي: منعوه وحاصروه من جميع الجوانب والجهات، بحيث لا يستطيع الخروج والتخلص من الأزمة.

وبعد هذا التضييق والتشديد، والمنع والحبس أصبحنا نساق مثل الأسارى الذين يأتون بهم من بلاد الكفر عند فتحها.

سوقاً في قطار يقال ـ ولا مناقشة في الأمثال ـ: قطار الإبل أي: عدد من الإبل على نسق واحد وفي طابور طويل، وقد قرأنا أن جميع أفراد العائلة ومعهم الإمام زين العابدين والسيدة زينب (عليهما السلام) كانوا مربوطين ومكتفين بحبل واحد!

وأنت علينا ذو اقتدار أي: نحن في حالة الضعف وأنت في حالة القدرة.

أن بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً ؟!

أي: أظننت ـ لما رأيتنا مغلوبين، ووجدت الغلبة والظفر لنفسك ـ أن ليس لنا جاه ومنزلة عند الله، لأننا مغلوبون؟!! وظننت أن لك عند الله جاهاً وكرامة لأنك غلبتنا وظفرت بنا، وقتلت رجالنا، وسبيت نساءنا؟!!

و ظننت: أن ذلك لعظم خطرك أي: لعلو منزلتك.

وجلالة قدرك عند الله تعالى؟! وعلى أساس هذا الظن الخاطئ الذي لا يغني من الحق شيئاً و إن بعض الظن إثم، إستولت عليك نشوةً الإنتصار.

وقولها أيضاً: ((تحذيرك حرائرك وإماءك،، وسوقك بنات رسول الله سبايا،، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، ويستشرفهن أهل المناقل،

ويتبرزن لأهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد))[1]، أي: أمن العدل أن تجعل جواريك والنساء الحرائر ـ الساكنات في قصرك ـ وراء الخدر، وتسوق بنات الرسالة وعقائل النبوة، ومخدرات الوحي .. سبايا؟

فبعد أن كن مخدرات مستورات، لا يرى أحد لهن ظلاً، وإذا بهن يرين أنفسهن أمام أنظار الرجال الأجانب، وبعد أن كن محجبات .. وإذا بالأعداء قد سلبوهن ما كن يسترن به وجوههن .. من البراقع والمقانع، ،و يتصفح: أي يتأمل وجوههن لينظر إلى ملامحهن.

وإنّما ذكرت هذه العلاقات في هذا المقطع من النص لأبيّن قدرة السيدة زينب (عليها السلام) ـ على ربط الألفاظ بما يخالفها أو يكون من سببها أو يرادفها وهي في غير هذه الفقرات كثيرة وقد وجدنا أنّها توردها في كل جملة بتنويع في الدلالة وتشير إلى قابلية هائلة على وضع الألفاظ في مواضع تمنحها الجمال وقوة التأثير في النفس وهذا الرصد للألفاظ والعلاقات التي تربط بعضها ببعض هو ما يسمى في الدراسات اللسانية (المجالات أو الحقول الدلالية).

المحور السادس: بلاغة الصورة النفسية(التشبيه والاستعارة):

علم البيان علم ((يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة))[2]، فهو اذن علم الاساليب البيانية ذلك ان الفكرة الواحدة يمكن اداؤها باساليب عدة، وهذه الاساليب قد تكون في صورة من صور التشبيه او المجاز او الاستعارة او الكناية لأن المبدع حينما يستعمل اللغة يقوم بتمثيل تصور ذهني معين له دلالته وقيمته

(١) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.
(٢) الايضاح: ١٢٠.

الشعورية[1]، وهذا التمثيل ينقل معاني اللغة من دائرته الضيقة إلى عالم أرحب تتدفق من خلاله الإحساسات المتوافرة في ذهن الشاعر أو الكاتب لتشكيل ما ينسجم مع حركته النفسية والانفعالية.

لا شكّ في أن الاستعارة والكناية أبلغ من التصريح وأن التمثيل يدني الأمور البعيدة ويلقي الضوء على المفاهيم ويستشفها.

هذا الفن كما نعلم من الأساليب القرآنية الجملية واستناد الوحي به خير دليل على أهميته في التبليغ حيث يقول تبارك وتعالى: (ويضرب اللّه الأمثال للناس لعلهم يتذكرون)[2]

وتوظّف السيدة زينب هذا الفن في مواقف عديدة، مرةَ حين تخاطب أهل الكوفة وتشبههم بالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، وتستفيد من تشبيه التمثيل حيث تشبه دعوة الكوفيين ومكاتبتهم الحسين بالحياكة ثم تركهم اياه و شهر السيف في وجهه بنقض ما حاكوه وفتقه (وهذا مثل يضرب لمن لا يقوم على أساس الحكمة في أعماله) قائلة: (إنما مثلكم مثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم)[3]، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط اللّه عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أو تشبههم بالعشب المنبت في المزابل وتستخدم هذا المثل لتصوير واقع حياتهم في جهتين: أولاً أنهم تغذوا من الحرام ودخلوا الشبهات فبطونهم تخمة من أكلها فلا يتمكنون من نصرة الحق لهذه الخلفيّة ثانيا: أن هذه النباتات لوهنها ورخوتها لا يمكنها الصمود أمام الرياح ولا تتسن لها المقاومة أمام الحوادث كما كان حال أهل

(١) ينظر: الصورة الفنية، د. جابر عصفور (بحث) مجلة الأديب المعاصر، بغداد، ١٦، آذار، ١٩٧٦، ٣٢.
(٢) الرعد: ١٧.
(٣) كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ج٢/ ٢١ـ٣٨.

الكوفة حيث كانوا يتراجعون عما يعتقدونه بأدنى تطميع أو ارعاب، ثم تشبّههم بالفضة فوق اللحد إشارة إلى ظواهر هم المزيّفة وبواطنهم الخامدة وغير المتحركة. وفي موقف آخر أمام يزيد تشبه فعله بفتق الجرح فنرف الدم وبالتالي الإجهاز على صاحبه بسبب نزف الدم، وتقصد بذلك الضغينة التي أضمرها يزيد وآله على مرّ السنين فاراد أن يشفي غليله بذلك، وتخيب زينب آماله بأنَّ نكأ هذه القرحة يقضي عليه، لأن حقده للإسلام والمسلمين دفين ولا يمكن شفاؤه بهذا كما أن الجراحة المندملة لا يستأصل شأفته بالفتق وستكون عاقبته الهلاك عاجلاً أو آجلاً.

الخاتمة

١. لقد كان من أروع ما خططه الإمام الحسين(ع) في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدرات الرسالة معه إلى العراق،فقد كان على علم بما يجري عليهن من النكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرف في إكمال نهضته وايضاح تضحيته وإشاعة مبادئه وأهدافه، وقد قمن حرائر النبوة بايقاظ المجتمع من سباته، وأسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثورة عليه، فقد ألقين من الخطب الحماسية ما زعزع كيان الدولة الأموية، ففي هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان وبين معاني الحماسة وقوة الاحتجاج وحجة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة، بصراحة هي أنفذ من السيوف إلى أعماق القلوب وأحدّ من وقع الأسنة في الحشا والمهج في مواطن القتال ومجالات النزال وكان الوثوب على أنياب الأفاعي، وركوب أطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ الذي صرفت به ربيبة المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أمية.

٢. أنّ بنية الخطاب النفسي في خطبة السيدة زينب قد سبكت من لدن بليغة عارفة

بأسرار اللغة فأحسنت سبكها، وأجادت بصياغتها فنحت منحى علوياً خاصاً يمتلك كل أسباب الجود والرصانة في البناء اللغوي البليغ أخذةً من القرآن الكريم كثيراً من سماته، وانتهلت من الحديث النبوي الشريف بعض خصائصه، فجاء بنائها نسيجاً وحداً.

٣. فضلاً عن توظيفها اسلوب الطباق والمقابلة الذي شكل ملمحاً بلاغياً بارزاً في خطبتها ويتجلى تأثيره في انه يجمع بين الاضداد ويخلق صوراً ذهنية ونفسية متعاكسه يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه، فيتبين ماهو حسن منها، وما يفضله عن ضدهِ ومن هنا فان هذا الفن البديعي يستوي معرضاً للمعاني الذهنية المتنافرة فتترك في الشعور آثاراً عميقة باسلوبه الموازن المقارن.

٤. قدرة السيدة زينب (عليها السلام) ـ على ربط الألفاظ بما يخالفها أو يكون من سببها أو يرادفها وهي في غير هذا النص كثيرة وقد وجدنا أنّها توردها في كل جملة بتنويع في الدلالة وتشير إلى قابلية هائلة على وضع الألفاظ في مواضع تمنحها الجمال وقوة التأثير في النفس وهذا الرصد للألفاظ والعلاقات التي تربط بعضها ببعض هو ما يسمى في الدراسات اللسانية (المجالات أو الحقول الدلالية).

٥. براعة الاستهلال وحسن الختام :تستهل ببراعة الاستهلال وحسن الختام الصنعتين اللتين تدلان على كفاءة الخطيب وقوّته في انسجام الكلام وتنسيقه، فنراها أوّلاً تبدأ وتختم بالحمد والشكر وهذا يدلّ على نفسها السلمية وضبطها جماح النفس بعدما لاقتها من المصائب والتوترات كما يدل على ثباتها واعتقادها بالمسير الذي انتخبته وسلكته بقوة وسداد ثم تتمسك بالآية التي تبيّن عاقبة المجرمين وتعنّتهم أمام الآيات الإلهية والبدء هذا يهدّم الأفكار الخبيثة والأوهام التي تورّط فيها يزيد بوجوده كلهوبهذه الضربة العنيفة تجعل الجماعة مبهوتين وتنتقل إلى إلقاء كلمتها وإنارة أفكار المدهوشين

في ذلك المجلس كما تحسن الختام في تذكارها خلود الوحي وأهل البيت وعدم دوام الحكم للغاصبين.

٦. إن الدوافع النفسية تنفرد في تجسيد الأحاسيس والمشاعر في خطبة السيدة زينب(عليها السلام)ٱ من خلال رؤيتها لتلك الحالة ٱ فتسهم في صورة المقارنة في التشبيه، والاستعارة ٱ فتبعث في المتلقي حالة التأمل والمقارنة بين الحالتين اللتين تجمع بين مكوناتهما صفة واحدة فتصل إلى حالة التلاحم ٱ ويكون ذلك باعثا لرسم صورة التشبيه المعبرة والمؤثرة في المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، (د.ت) .

٢. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠ م .

٣. الطبرسي، ابن منصور أحمدبن علي/ الاحتجاج/ ج ٢-١ (خطبة السيدة زينب (عليها السلام) ج/ (١ـ٢).

٤. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تح: السيد أحمد الصقر، دار إحياء الكتاب العربي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت) .

٥. . .كتاب العين مرتباً على حروف المعجم، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق :د.عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)

٦. . لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، محمد خطابي، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م.

٧. . مباديء اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، ط٢٠٠٨،٣م.

٨. .مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي، (ت ٦٢٦هـ)، تصحيح :أحمد سعد علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، القاهرة، ١٩٣٧م.

٩. . منهاج البغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (ت٦٤٨هـ)، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٦٦م .

١٠. .الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ،د. محمد أسمري، منشورات دار سال، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١ م . .

١١. الصورة الفنية، د. جابر عصفور (بحث) مجلة الأديب المعاصر، بغداد، ١٦، آذار، ١٩٧٦، ٣٢.